القافلة

العدد 697 | مارس-أبريل 2023

أرامكو السعودية
saudi aramco

القافلة

مجلة ثقافية منوعة تصدر كل شهرين
المجلد 72 | العدد 697 | مارس-أبريل 2023

الناشر
شركة الزيت العربية السعودية
(أرامكو السعودية) - الظهران

رئيس أرامكو السعودية، كبير إداريها التنفيذيين
أمين حسن الناصر

النائب التنفيذي للرئيس
للموارد البشرية والخدمات المساندة
نبيل عبدالله الجامع

نائب الرئيس للشؤون العامة بالوكالة
خالد عبدالوهاب الزامل

مدير قسم قنوات الاتصال
حاتم عبدالرحمن الفايز

فريق القافلة

التحرير
ميثم الموسوي
لطيفة السماعيل
موضي العتيبي

التصميم والإخراج
حسام نصر
بدر القطيفي
رحاب القحطاني

النشر والمساندة
مشرف العمري
فهد الكلثم
سعود الدعيج
شذا العتيبي
مشاعل الصالح
بدور المحيطيب

المراجعة والتدقيق
هنوف السليم
سعيد الغامدي
نورة العمودي

حضر اللؤلؤ أولًا في الأساطير والحكايات الشعبية، ومن ثم في كتب التاريخ والآداب وعوالم الاقتصاد والحياة الاجتماعية والفنون الغنائية والبصرية، وصولًا إلى الدراسات التي تخرج اليوم من مختبرات البحث العلمي. لكن الحضور الأقوى لهذه الجوهرة الثمينة كان في المجتمعات التي اعتمدت عليها في نظام معيشتها كما كان الحال في الخليج العربي حتى أقل من قرن مضى.

الصورة: Getty Images

طباعة
مطابع المطوع

ردمد ISSN 0547-1319

• ما ينشر في القافلة لا يعبّر بالضرورة عن رأيها.
• لا يُسمح بإعادة نشر أي من موضوعات أو صور القافلة إلا بإذن خطي من إدارة التحرير.
• لا تقبل القافلة إلا أصول الموضوعات التي لم يسبق نشرها بأية وسيلة من وسائل النشر.

لطلبات الاشتراك الخاصة باستلام الأعداد المطبوعة من مجلة القافلة، ولإلغاء اشتراكك أو تحديث البيانات الخاصة به، يُرجى التواصل معنا عبر البريد الإلكتروني للمجلة: alqafilah@aramco.com.

توزع مجانًا للمشتركين
العنوان: أرامكو السعودية ص.ب 1389 الظهران 31311 المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني:
Alqafilah@aramco.com

الموقع الإلكتروني:
Qafilah.com

شركة الزيت العربية السعودية (أرامكو السعودية)، شركة مؤسسة بموجب المرسوم الملكي رقم م/8 وتاريخ 04 / 04 / 1409هـ، وهي شركة مساهمة بسجل تجاري رقم 2052101150، وعنوانها الرئيس ص.ب. 5000، الظهران، الرمز البريدي 31311، المملكة العربية السعودية، ورأس مالها 75,000,000,000 ريال سعودي مدفوع بالكامل.

محتوى العدد

قبل السفر

02 | كلمة القافلة: معلّقات روبوتيّة
04 | أكثر من رسالة: دور البُعد الجمالي في تعزيز المبادرات الخضراء
05 | أكثر من رسالة: بين الكتابة بخط اليد والكتابة الإلكترونية
06 | كتب عربية ومترجمة
08 | كتب من العالم
10 | ذاكرة القافلة: الرومانسية في شعر عبدالله الفيصل
12 | الصندوق الثقافي.. يجني فوائد اقتصادية ويعزّز جودة الحياة

أدب وفنون

17 | حصاني الأدهم.. بين أحلام الصبا ومضامير الأدب
20 | جسر الهجرة في المتحف الوطني السعودي
22 | كيف تتأثر بكتاب لم تلمسه؟
26 | ما الشعر؟ كلمات العابر الأخيرة
28 | متى تنتزع نتفليكس عرش المجد السينمائي؟
34 | ماذا نسمع في الموسيقى؟
36 | آلية سوق الفن.. كيف تحوّلت الأعمال الفنية إلى سندات خزينة؟
40 | أحلامٌ مليئة بالثقوب.. مصيدة السرد لدى خوليو كورتاثار
42 | المانجا.. عنقاء اليابان الأثيرة

طاقة وبناء

45 | أين الجميع؟! هل يؤوي الكون حياة أُخرى غيرنا؟
48 | روبوتات الدردشة.. محادثة فورية مع الذكاء الاصطناعي
54 | الغابات الحضرية.. لمواجهة التغير المناخي وتلطيف أجواء المدن
60 | النوافذ الذكية السائلة.. توفر الطاقة وتعزل الصوت والضوضاء

آفـاق

64 | سيكولوجيا الإعلام: قراءة في كيمياء التأثير والتأثر
68 | جدة التاريخية.. معالم تقاوم النسيان
72 | علاقة العلم والفلسفة..بين انفصال أبدي وتفاؤل بعودة ضرورية
76 | أسرار عالم الأسرار.. بين كتمانها والبوح بها
80 | الإيكودار.. النظام البنكي الذي تحوّل تراثًا معماريًا مغربيًا
84 | ما بين النفس والجسد.. الصحة النفسية في جوانبها الخفية

الملف

89 | اللؤلؤ

تابعونا @QafilahMagazine مجلة القافلة بودكاست القافلة qafilah.com

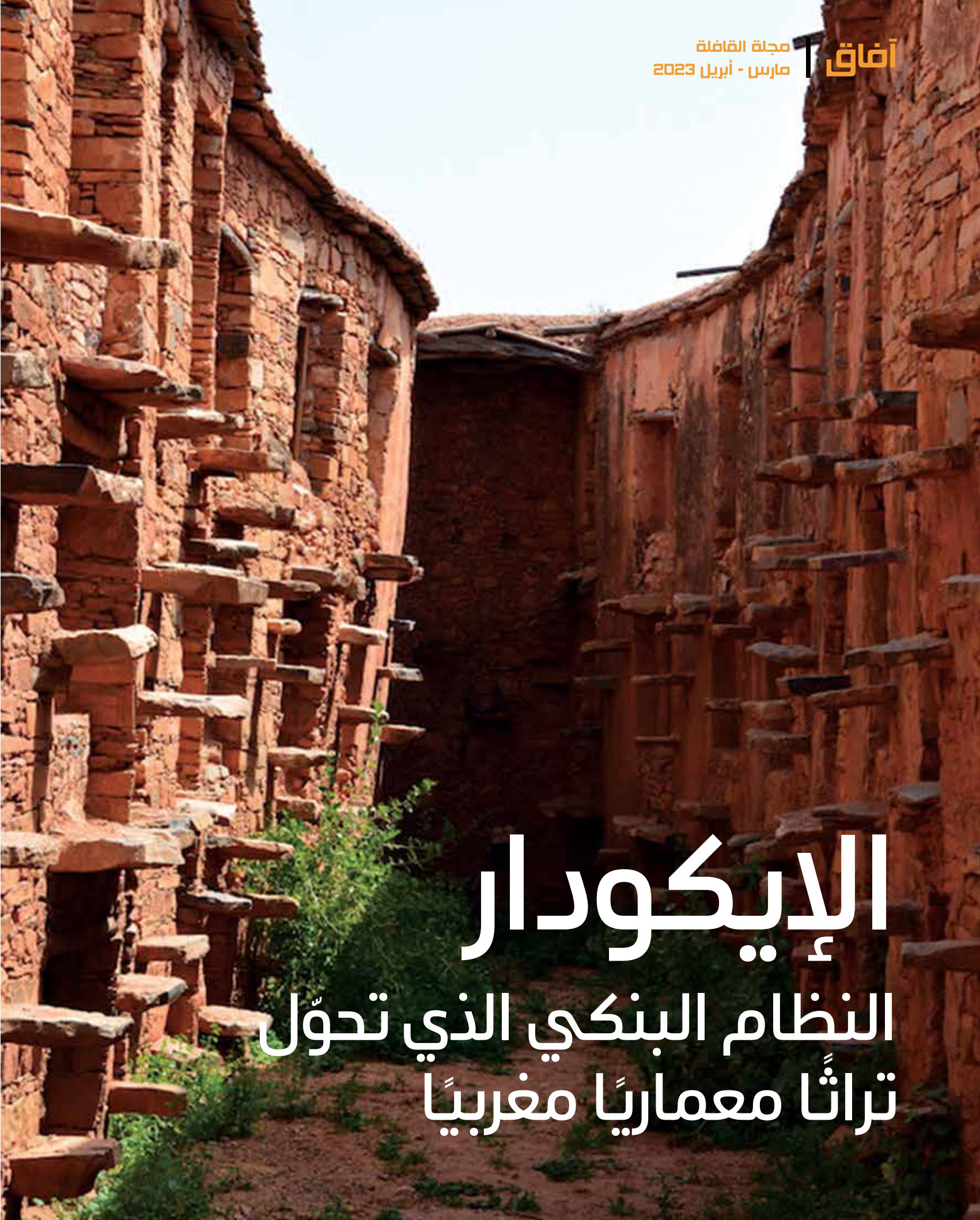

الإيكودار

النظام البنكي الذي تحوّل تراثًا معماريًا مغربيًا

في كتابه الشهير "أسياد الأطلس"، يقول الباحث والكاتب الأسكتلندي جافين ماكسويل إن المغرب، رغم أنه وِجهة سياحية للآلاف كل عام، إلا أنه يظل بلدًا غير معروف تمامًا، إذ إنه مع تمركز الحركة السياحية في المدن الكبرى مثل فاس ومراكش، فإن العديد من كنوز المغرب تظل منسية وغير مكتشفة من أغلب الزوار. وتعتبر "الإيكودار"، أو المخازن الجماعية، من أهم المعالم الأثرية والعناصر المعمارية التي تُميز التراث الأمازيغي والمغربي بشكل عام، إذ لا تزال شاهدة بعد قرون من تشييدها على ثراء وغنى التنوع الحضاري والجغرافي للبلاد، فما قصة هذه المعالم؟ وكيف نشأت وتطورت لتُشكّل أحد أول الأنظمة البنكية في التاريخ؟

علاء حليفي
تصوير: إدريس لعزيز

"الإيكودار" هي كلمة أمازيغية الأصل تعني المخازن الجماعية. وهي عبارة عن فضاءات محصّنة تتمثل وظيفتها الأساسية في تخزين المواد والسلع القيّمة. شُيِّدت هذه المباني على عدة طوابق، وتوجد غالبًا في أماكن نائية من قرى المغرب ومدنه، فهو يحوي ما يقرب من 560 مخزنًا جماعيًا في جميع أنحائه، خاصة في جهة سوس وسلسلة جبال الأطلس الأصغر. هذه المخازن تندمج مع المناظر الطبيعية المحلية للبلاد بهندسة معمارية تطورت فيما مضى حسب ما تفرضه الحاجة، لكنها تشكل اليوم كنوزًا منسية ذات قيمة لا تُقدر بثمن!

يعود تاريخ معظم هذه المخازن الجماعية إلى القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين. ففي ذلك الوقت، كان لكل قبيلة مبنى إيكودار خاص بها، يحتوي على عدد من غرف التخزين الصغيرة، إذ كان لكل عائلة غرفة يمكنها وضع أغلى ممتلكاتها فيها، من دقيق وقمح وعسل وزيت وبلح ولوز وتين مجفف وحناء، و"برطمانات" مليئة بزيت الزيتون والزبدة المذابة. وهكذا، خلال فترات المجاعة الكبرى والأوبئة وسنوات الجفاف، سمحت الاحتياطات الغذائية المخبأة في الإيكودار لعديد من القبائل بالبقاء على قيد الحياة وتجاوز هذه الأزمات.

بالإضافة إلى المواد الغذائية الضرورية، كان للأشياء الثمينة أيضًا مكانها في هذه المخازن، مثل سندات ملكية الأراضي وشهادات الزواج والمجوهرات. فقد كانت الإيكودار بمثابة نظام مصرفي عرفته البشرية قبل بنوك اليوم، حيث كان لكل شخص زنزانة مقفلة لها مفتاح احتفظت به الأسرة، ثم مفتاح لباب أكبر يحفظه أمين الإيكودار. كما أن هذه المخازن حكمها ميثاق مشترك كان أشبه بقانون داخلي، كُتب على لوح معلق داخل فضاء الإيكودار.

ولكن هذه الهياكل لم تُبنَ فقط لتخزين المحاصيل والممتلكات، إذ غالبًا ما احتوى كل مخزن جماعي على غرف مخصصة لوظائف مجتمعية عامة، مثل صيدلية تحفظ الأدوية الطبيعية المحلية في ذلك الوقت، وغرفة محكمة لتسوية النزاعات المحلية، وأحيانًا غرفة لعلاج المرضى.

وقد كانت لمباني الإيكودار أيضًا وظيفة دفاعية، فكانت تُعد ملجأً في حالات الخطر، خاصة بالنسبة للنساء والأطفال وكبار السن في أوقات الأزمات، إذ إن سلسلة جبال الأطلس الصغير وسوس كانت موطنًا للحروب والصراعات، وأيضًا لعدد من الانتفاضات الأمازيغية ضد الاحتلال الفرنسي.

أكثر من مجرد بناء مادي

كان لكل إيكودار حارس، أو ما يُسمى بالأمين، وغالبًا ما يكون الأمين ابن المنطقة، ينتخبه الناس لكي يتولى إدارة الإيكودار وحمايته، حيث يعيش

تنسجم عمارة مباني الإيكودار مع الطبيعة المحلية، وتتفاوت ملامحها بين منطقة وأخرى، لكن العامل المشترك لبنائها في مواقع إستراتيجية هو الحاجة البشرية التي فرضتها ظروف الأهالي في مرحلة سابقة.

مخازن لثروات القرى والقبائل، ذات طرز معمارية خاصة، والتعامل معها كان محكومًا بطقوس وأعراف محددة بدقة.

داخل المخزن هو وعائلته من دون أن يغادر المكان أبدًا. وكان عليه حماية ممتلكات الجميع، ويتقاضى على ذلك أجرًا من الناس، إما عينيًا كالقمح أو الشعير وإما نقدًا.

والأمين هو الوحيد الذي يحتفظ بمفاتيح الإيكودار، إذ يقف عند المدخل الوحيد لكل مبنى ويدافع عنه ضد أي لصوص أو قطاع طرق محتملين. وقد كان مسؤولًا أيضًا عن الاحتفاظ بالمفاتيح الثانوية لجميع غرف التخزين الموجودة داخل المبنى. وكان كل أمين يخدم عددًا طويلًا من السنوات قد تصل إلى 40 سنة، ولطالما كانت هذه المسؤولية تحظى باحترام كبير من طرف السكان.

وتجسّد هذه الهياكل، التي شُيدت بدافع الضرورة، جوهر المناطق التي توجد فيها. فهي أكثر من مجرد أبنية مادية، إذ إن لها قيمتها المعنوية لا سيما أنها كانت محط إجلال السكان. فقد كان للمكان طقوسه الخاصة، تمامًا كما لو كان مبنًى دينيًا. فكانت القوانين والأعراف الصارمة لهذه المباني تحظر النظر إلى المخازن الخاصة بالآخرين، وكان على كل شخص التوجه مباشرة إلى مخزنه من دون أن يسترق النظر إليها. كما كانت تُوضع بعض الحبوب والأعشاب المحلية بشكل رمزي داخل كل إيكودار، انطلاقًا من الاعتقاد السائد آنذاك بأنها سوف تضيف القوة والحياة إلى المكان. وإلى جانب ذلك، كانت هذه الأبنية تفتح أبوابها ملجأً لمن كانوا في أمس الحاجة إلى مأوى في شكل من أشكال التكافل الاجتماعي بين سكان القرية.

هندسة معمارية متفردة

وتُعد هذه المعالم ثروة معمارية وتراثية حقيقية للمغرب، إذ إنها تتميز بهندستها المعمارية الفريدة وموادها القديمة. فكما ذكرنا سالفًا، انتشرت الإيكودار في مناطق مختلفة من المغرب، وبالتالي فقد كانت تتميز بعضها عن بعض وفق موقعها الجغرافي، وتوظّف مواد بناء متنوعة من منطقة لأخرى، وهذا ما يزيد من بُعدها المادي غنًى وتنوعًا. فعلى سبيل المثال، الإيكودار الموجودة في جبال الأطلس الصغير مصنوعة من خشب الأرغن والحجر، أما تلك المبنية في السهول، فقد كانت جدرانها تُشيد من الطين وسلالمها من الخشب.

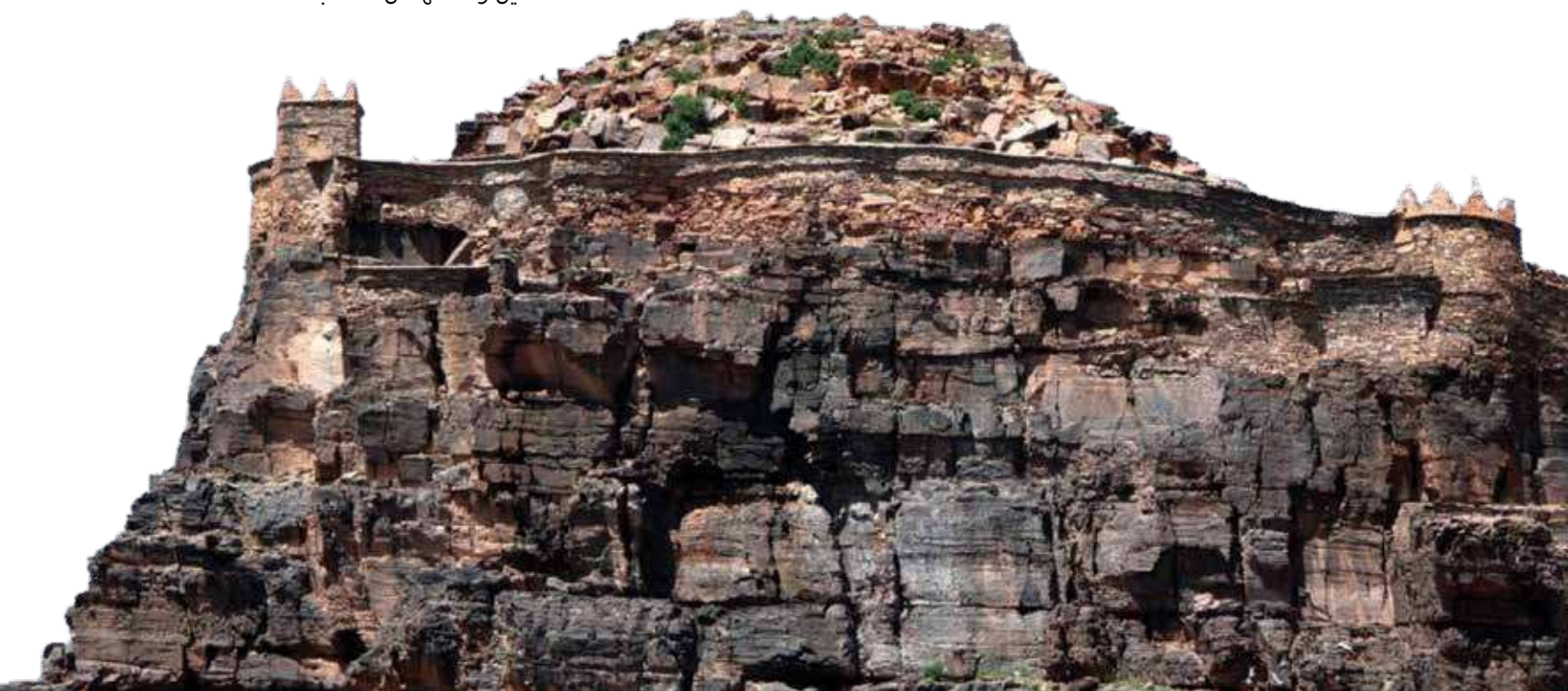

وقد تختلف تقنيات البناء، لكن بعض المبادئ كانت عامة بصرف النظر عن اختلاف السياق الجغرافي، ومن بينها قرار البناء الذي كان مشتركًا، حيث يساعد كل السكان في بناء الإيكودار بأنفسهم. لكن أهم ميزة مشتركة تميز المخازن الجماعية هي مواقعها الإستراتيجية، إذ عادة ما تُبنى على قمة جبل أو عند أسفل منحدر جبلي، حتى يستحيل حصارها، كما أنها دومًا ما تكون محمية بأسوار وأبراج يصل ارتفاعها أحيانًا إلى ثلاثة أمتار خارج المباني، وجميعها محاطة بأشواك الصبار.

وتجدر الإشارة أيضًا إلى مدى استدامة هذه المباني. فرغم تشييدها قبل قرون مضت، في فترة لم تكن فيها العمارة الإيكولوجية موضوع نقاش في ميدان البناء، إلا أن الإيكودار تُعد مبانيَ مستدامة بشكل كامل، والسبب راجع إلى توظيف مواد البناء المحلية الطبيعية، التي كانت تحفظ الوسط الداخلي للمخازن في معزل عن تقلبات الطقس، وخاصة في ظل المناخ القاسي للمناطق الجبلية.

المحاصيل الصالحة للزراعة وسط تلك الظروف المناخية القاسية للأطلس الصغير، مثل الزعفران واللوز والأركان، كانت ذات قيمة عالية؛ إذ يوفر الزعفران مثلًا نافذة حصاد سنوية قصيرة ويحتاج إلى ظروف تخزين مثالية للحفاظ عليه. وقد وفّرت مباني الإيكودار كل الظروف المؤاتية لذلك، بغرف تخزينها المظللة وذات التهوية الجيدة، والمبنية من جدران سميكة تحفظ البرودة الداخلية أثناء فصل الصيف. كما كان من الممكن تخزين الحبوب في بعض هذه المخازن الجماعية لمدة تصل إلى 25 عامًا، وحفظ الزبدة الطبيعية لمدة 10 سنوات.

تراث الإيكودار في زمننا الحالي، أي مستقبل؟

ظلت الإيكودار تراثًا جماعيًا متوارثًا من جيل لآخر حتى منتصف تسعينيات القرن الماضي، حين أخذ اعتماد الناس عليها في تخزين أشيائهم الثمينة يقل شيئًا فشيئًا، إلى أن أُغلق أغلبها. واليوم، لا تزال بعض هذه المخازن قائمة على الرغم من كل تقلبات الطبيعة. كما نجد أن الاهتمام بهذه المعالم التراثية أخذ يتزايد شيئًا فشيئًا، بوصفها تراثًا ماديًا وغير مادي في الوقت عينه، يحتاج إلى الترميم وإعادة الهيكلة، خاصة أن بعض المخازن الصغرى تدهورت وتعرضت للخراب خلال السنوات الماضية.

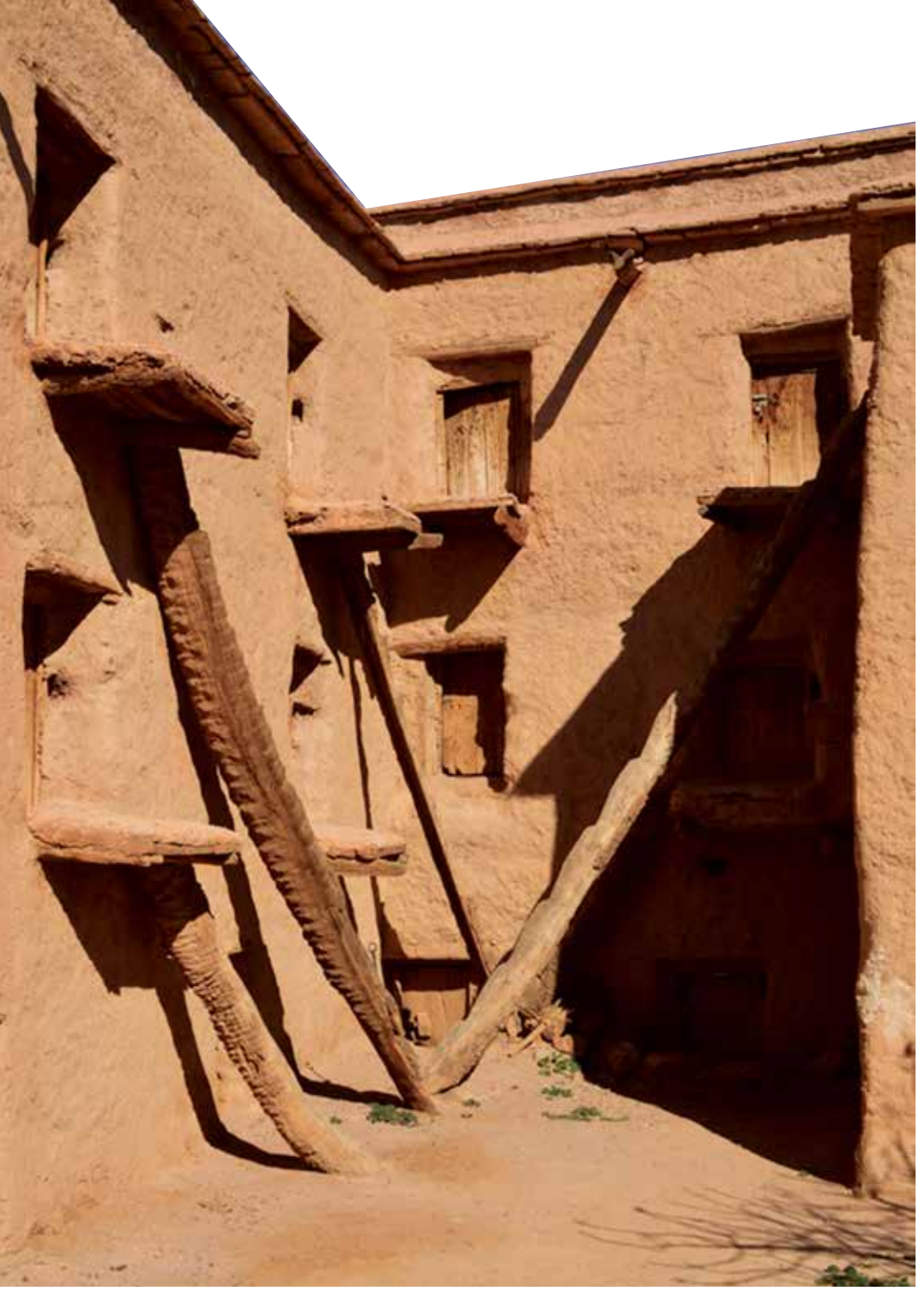

تقوم مباني الإيكودار على فلسفة اجتماعية تكافلية، فلكل أسرة من الأهالي غرفة تحتفظ فيها بممتلكاتها الخاصة، إلى جانب منافعها العامة التي تخدم هدفًا مشتركًا بين الجميع.

هذه الأماكن التي تشكل جزءًا لا يتجزأ من ثقافة المغرب وغنى معماره، قد تعرف مستقبلًا اهتمامًا واسعًا، ومن المتوقع أن تُدرَج في المسارات السياحية الكبرى للبلاد. وتحويل الإيكودار إلى مناطق سياحية سوف يعود بالنفع على السكان المحليين، في شكل من أشكال السياحة البيئية والمسؤولة، التي يمكن أن تخلق فرص عمل جديدة وحماسًا حقيقيًا عند سكان هذه المناطق النائية من البلاد، التي هي في أمس الحاجة إلى نشاط اقتصادي مماثل. كما سيشكل ذلك فرصة لإحياء هذه المعالم، التي تدعو الزوار إلى اكتشاف تاريخها وطريقة حياة السكان الأصليين وممارساتهم الجيدة، بل يمكن أيضًا أن تقدم دروسًا للمستقبل في الإدارة المستدامة للموارد الطبيعية.

القافلة

مجلة ثقافية منوعة تصدر كل شهرين - العدد 697 | مارس-أبريل 2023

Qafilah website

Aramco LIFE

P. O. Box 1389 Dhahran 31311
Kingdom of Saudi Arabia

March | April 2023
Volume 72

Al-Qafilah a bi-monthly cultural magazine
A Saudi Aramco publication